مجلة المجمع العلمي

النقد الاجتماعي في المقامات اللزومية

محمد عبد الامير العبيدي

الجامعة المستنصرية

الملخص :

وُسم البحث بـــ (النقد الاجتماعيّ في المقامات اللُزُوميّـــة) ، وهـــي المقامات التي ألّفها أحد أعلام الأدب الأندلسيّ على عـــصري الطوائـــف والمرابطين أبو الطاهر محمّد بن يوسف السَّرَقُسْطِيّ (ت٥٣٨هـــ) .

تناول البحث المساوئ الاجتماعية التي سجّلها السرقسطيّ في مقاماته شعرا ونثرا ومنها : الكذب والغدر والريـــاء والخيانـــة وتتبّـــع عـــورات الآخرين، وكان موضوع فَقْدِ الأخلاّء من أبرز الموضوعات التـــي ركّـــز عليها في المقامات .

وتألّف البحث من تمهيد عن الموضوع ثمّ تلاه مبحثان : عنونتُ للمبحث الأوّل بـــ (نقد القِيَم الاجتماعية المذمومة) ، وجاء المبحث الثاني بعنـــوان (ندرة الصداقة والصديق) ، ثمّ خاتمة عن أبرز نتائج الموضوع ومنها :

كان السرقسطيّ أديبا اجتماعيا إصلاحيا لأنّه لم يكشف عن مـــساوئ المجتمع حسب وإنّما استنكر الرذائل وأرشد إلى طريق الصواب .

وغلب على نقده الشكوى والتشاؤم بسبب كثرة المساوئ التي دعتـــه إلى اعتزال الناس، وإخفاقه في إيجاد صُحبة مخلصة يبادلها الوداد وتشعره بالتآلف الاجتماعيّ وتأخذه من وحدته وغربته النفسيّة، فضلا عن أنّ نقـــده يعدّ وثيقة اجتماعية لأنّها عكست جانبا من الواقع السيّئ للمجتمع الأندلسيّ.

المقدمـــة :

يبدو أنّ المقامات اللزوميّة ومؤلّفها أبا الطاهر محمّد بـن يوسـف السَّرَقُسْطِيّ (ت٥٣٨هـ)[١] أحد أعلام الأدب الأندلسيّ علـى عـصريّ الطوائف والمرابطين، يكادان يكونان مجهولين عند دارسي الأدب العربيّ، وذلك ما أشار إليه الدكتور حسن الوراكلي فـي مقدّمـة تحقيقـه كتـاب "المقامات اللزومية "[٢]، بمعنى أنّ مصادر الأدب الأندلسيّ لم تقدّم سـيرة وافية عن حياته .

وقد شكّلت مقامات السرقسطيّ مؤلَّفا مستقلاً بذاته، وبلغت تـسعا وخمسين مقامةً، ولم نجد حتّى الآن أديبا أندلسيا رَفَدَ الأدب العربـيّ فـي الأندلس بمؤلَّف يتعلّق بالمقامة إلاّ السرقسطيّ، حتّى أنّنا لا نجد بين الأدباء الأندلسيين (مَنْ تفرغ للمقامة وعُرف بها معرفة البديع أو الحريري اللهمّ إلاّ السرقسطيّ الذي عارض مقامات الحريري الخمسين)[٣].

وبرز أبو الطاهر ناقدا اجتماعيا فـي ضـوء رصـده المـساوئ الاجتماعية وعَرْضها بأسلوب أدبيّ مقاميّ ، وهذا نابع من ارتبـاط الأدب بالحياة أي ارتباط الأديب بواقعه الاجتماعيّ واستيعابه مشكلات العـصر

---

[١] هو محمّد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف التميمي المازني، من أهـل سرقـسطة، يُعرف بابن الاشتركويّي أو الاشتركوني نسبة إلى اشتركوي ، وهو حـصن مـن أعمال تُطيلة، كان لغويا أديبا شاعرا، وكان رحّالة في طلب العلم، إذ رحـل إلـى بلنسية وشاطبة وقرطبة ومرسية، مات بقرطبة سنة (٥٣٨هـ). تنظر ترجمته في: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي : ١٤٧- ١٤٩ وبغية الوعاة : ١/ ٧٩ .

[٢] ينظر: المقامات اللزوميّة : ٥-٦ .

[٣] الأدب العربي في الأندلس : ٤٨٢ .

وامتزاجها بذاته فكرا ومشاعر، فيكون العمل الأدبيّ ومنه المقامة متألّفا من ثلاثة جوانب : (الحياة والموقف الفكريّ والموقف الجماليّ)[٤] .

وقد كانت العقدة في المقامات اللزوميّة تقوم على تنكّر البطل الشيخ أبي حبيب السدوسيّ للكدية وتفنّنه في استخدام شتّى الحيل والأساليب من أجل الاستحواذ على أموال الناس متّكئا في استمالة قلوبهم على بلاغته وبراعته اللغويّة ، ومعتمدا أسلوب الوعظ والإرشاد ، فضلا عن أنّ مقامات السرقسطيّ كانت معرضا لتصوير جوانب متعدّدة من جوانب الحياة ومنها كشف الحيل والخدع في الأمور الحيوية، ومدح الناس وذمّ معايبهم الاجتماعية لتمثّل المقامات نقدا لعيوب المجتمع ومرصدا للسلوك الإنسانيّ في المجتمع الأندلسيّ انطلاقا لوضع دستور أخلاقيّ[٥] .

وبذلك يمكن أن نعدّ المقامات اللزوميّة وثيقة نقدية اجتماعية سجّلت ما كان يطرأ على المجتمع ، أي أنّ المقامة الأندلسيّة كانت تعالج في جانب منها (جملة من المشكلات الاجتماعية المختلفة منها ظاهرة الانتقاد لفرد أو أفراد المجتمع)[٦] .

أمّا وسيلة التعبير عن انتقاداته فقد كانت بواسطة شخصيّات في المقامة أبرزها : شخصية الراوي وهو السائب بن تمّام ، وشخصية المكدّي

---

[٤] بين الفكر والأدب (مجلّة الثقافة) : ٦ .

[٥] ينظر: ملامح التجديد في النثر الأندلسيّ خلال القرن الخامس الهجري : ٢٨١، ٢٨٥- ٢٨٦ .

[٦] النثر الأندلسيّ في عصر الطوائف والمرابطين : ٣٣٩ .

المتمثّلة بأبي حبيب السدوسيّ ، وقد أودع السرقسطيّ نقده وأفكاره في هاتين الشخصيتين ، وكانتا اللسان الناطق بما يريد إيصاله إلى المتلقّي .

ولقد كان للأحداث السياسية الطارئة على الأندلس التي شهدها السرقسطيّ أثر بارز في إبداء نظراته الاجتماعية وميوله النقدية، إذ شهد نزاعات ملوك الطوائف واحتدام الصراع بينهم، وكان شاهدا على تساقط الدويلات واحدة تلو الأخرى نتيجة التمزّق السياسيّ، ومنها مدينة سَرَقُسْطَة مسقط رأسه فضلا عن ظهور دولة المرابطين وما تبع ذلك من تغيّرات على الصعيد الاجتماعيّ كونها مرحلة انتقالٍ من حكم إلى حكم جديد .

كلّ تلك الأحداث انعكست في نفسه وكوّنت له موقفا اجتماعيا ذا نزعةٍ نقدية، حتّى أنّ مقاماته والأشعار التي فيها (تدلّ على موقف نفسانيّ يغلب عليه التشاؤم حيال الأحداث الكبرى التي شاهدها)[٧] .

والنقد الاجتماعيّ بصورة عامّة اشتدّ في عصر المرابطين، فقيام الدولة المرابطية في الأندلس شكّل عبءً على الأندلسيين، ومن جهة أخرى أصبح للفقهاء منزلة كبيرة في أيّامهم، ممّا دفع الأدباء إلى النقد والتذمّر واتّهامهم بالرياء والتستّر باللباس الدينيّ، أمّا العصر الذي سبقهم وهو عصر ملوك الطوائف فلم يكن للنقد موقف صريح من طبقة الحكّام والأمراء، إذ كانت حرّية التعبير مقيّدة بالخوف لذلك كان الأدب منساقا إليهم، فتوجّه النقد إلى تناول سوء الأحوال السياسية والاجتماعية[٨] .

---

[٧] المقامات اللزوميّة، دراسة أسلوبية (اطروحة دكتوراه): ٥ .

[٨] ينظر: تاريخ الأدب الأندلسيّ، عصر الطوائف والمرابطين : ١٤٣، ١٤٥ .

وكان الأدب المقاميّ السرقسطيّ يتنوّع شعرا ونثرا، وقد منحه متعة وحيوية لأنّ التزام فنّ النثر من غير مشاركة الشعر أو العكس باعث على الملل والشعور بالثقل، ومن أبرز دواعي المزاوجة بين الفنّين (حرص الكُتّاب الأندلسيين على إظهار تفوّقهم في فنّي المنظوم والمنثور)[٩] .

نقد القيم الاجتماعيّة المذمومة :

كانت هناك مساوئ اجتماعية طرأت على المجتمع الأندلسيّ اكتوى السرقسطيّ بنارها لكنّه لم يكتمها في صدره وإنّما نقلها إلى مقاماته، وانتقلت معها أفكاره ومشاعره الإنسانية إزاء تلك المشكلات لأنّ الأديب حينما (يعبّر عن أفكاره ومشاعره فإنّه لا يعبّر عن تلك الأفكار في عزلة عن الواقع الاجتماعيّ... بل يقدّمها في سياقٍ أو أحداث أو مواقف أو علاقات اجتماعية)[١٠] .

ـ ن تلك المساوئ التي تناولها في مقاماته ضياع منزلة الأفاضل وذوي النهى بين قومٍ لا يجلّونهم ولا يفقهون منزلتهم حتّى أصبحوا غرباء وسط أولئك الجُهّال، قال الشيخ أبو حبيب السدوسيّ مخاطبا السائب بن تمّام :[١١]

أنْتَ بَيْنَ الوَرَى عَتِيْقٌ كَرِيْمٌ ... فَعَلاَمَ المُقَامُ بَيْنَ الخَشَاشِ؟[١٢]

وإذا ما العُقَابُ صَرْصَرَ يَوْمًا ... حَذِرَتْهُ البُغَاثُ في الأعْشَاشِ

. . . . . .

---

[٩] النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين : ٣٧٥ .

[١٠] سيكولوجية الإبداع في الفنّ والأدب : ٤١ .

[١١] المقامات اللزوميّة : ٥٢٠ .

[١٢] الخَشَاش : شِرار الطير . لسان العرب المحيط : ٨٣٤/١ ، مادّة (خشش) .

ضَاعَ ذو الحِلْمِ والنُّهَى بَيْنَ قَوْمٍ غَـرَّهُم كُلُّ خَـادِعٍ غَشّـاشِ
وكَـذَا الحَظُّ في البَرِيَّـةِ جَـارٍ بَيْنَ بَاكٍ وَضَاحِكٍ هَشّاشِ[١٣]

نجد في شعره غربة نفسيّة في ضوء إحساسه بأنّـه فـرد وحيـد على الرغم من مقامه بين الناس، وهذا دليل علـى عـدم التـآلف بينـه وبين مَن حوله ، وقد عزا معاناته إلـى الحظـوظ التـي تُـنعِم الجاهـل وتشقي اللبيب .

وفـي "مقامـة الأسـد" نجـد الـسدوسيّ يقـص علـى النـاس ما أصابه يومـا لمّـا خـرج مـع نفـرٍ قـاطعين القفـار فاعترضـهم هِزبران فظنّوا أنّها المنيّة، فراح يتوسّل بالأسد ويخضع له حتّـى ولّـى الأسد خجلا من ندائه ، إذ قـال : ((فَـزَوَى وَجْهَـهُ، وَطَـوَى كَـشْرَهُ وَنَجْهَـهُ[١٤] ، وَوَلّـى الخَجَـلُ يَـرِفُّ عَلَـى أعْطَافِـهِ، وَنَحْـنُ نُمْعِـنُ في إلْطَافِهِ))[١٥] .

وهي خدعة من خدع السدوسيّ فـي الاسـتجداء، إذ سـرد تلـك الأحداث ليصل إلى غرضه الأساسي "الكدية" الذي سنلمح في ضوئه إحدى عيوب المجتمع، حيث قال مخاطبا الناس :

((تَاللهِ إنّكُم لأدَرُّ حَلُوبًا، ولَكِنَّكُم أقْـسَى قُلُوبًـا، وَأغْلَـظُ جَـوَانِحَ

---

[١٣] الهَشَاشَة : الارتياح، يقال : هَشِشْتُ بفلان أهشّ هَشَاشة إذا ارتحتُ له وفرحتُ به . ينظر: م. ن : ٨٠٧/٣ ، مادّة (هشش) .

[١٤] النَّجْه : استقبالُك الرجلَ بما يكره ورَدُّك إيّاه عن حاجته، وقيل : هو أقبح الـردّ . م. ن : ٥٩١/٣ ، مادّة (نجه) .

[١٥] المقامات اللزوميّة : ٣٦٧ .

وَأكْبَادَا ، وَأكْثَرُ أسْبَادَا[١٦] وألْبَادَا[١٧] أَلَيْسَ مِنَ الغَرِيْبِ، وَالعَجَبِ المُرِيْبِ، أنْ يَنْثَنِيَ الغَضَنْفَرُ الهَصُوْرُ[١٨] وَيَنْقَادَ الآنِفُ النَّصُوْرُ ؟ وأنْتُم في صُورَةِ الإنْسَانِ، وَمَا بِكُم مِنْ فَضْلٍ وَلاَ إحْسَانٍ))[١٩] .

تجسّد العيب الاجتماعيّ في عدم التراحم بين الناس وقسوة قلوبهم حيث أنَّ الحيوان في نظره أرحم منهم وأرقّ، وهو ما جعله ينسب الفضل والإحسان إلى الأسد ويجرّدهم منهما .

وكانت ثنائية "الصدق والكذب" من المسائل الاجتماعية التي عالجها في مقاماته شعرا، إذ قال السدوسيّ :[٢٠]

الصِّدْقُ بِـرٌّ وَلَكِـنْ ... أينَ الذي لا يَمِيْنُ؟!
وَفِي الرِّجَـالِ هَزِيْلٌ ... وَفِي الرِّجَالِ سَمِيْنُ
كُـلُّ حَـزْنٍ خَتُـوْرٌ ... أينَ الوَفِيُّ الأمِيْنُ؟!
دَعِ الزَّمَـانَ وَدَعْنِي ... فَإنَّـهُ لِي ضَمِيْـنُ
وَاحْذَرْ حُرُوْبَ اللَّيَالِي ... فَلِلَّيَـالِي كَمِيْـنُ

---

[١٦] السَّبَد ما يطلع من رؤوس النبات قبل أن ينتشر والجمع أسباد... يقال : بأرض بني فلان أسباد أي بقايا من نبت . لسان العرب : ٢/٨٣- ٨٤ ، مادّة (سبد) .

[١٧] يقال : تَلَبَّدَ الشَّعْر أو الصوف والْتَبَدَ أي تَدَاخَلَ وَلَزِقَ، وكلّ شَعْر أو صوف مُلْتَبِـد بعضه على بعض فهو لِبْد، وجمعه ألباد. ينظر: م. ن : ٣/٣٣٣ ، مادّة (لبد) .

[١٨] الهَصْر: الكَسْر، وأسدٌ هَصُورٌ وهَيْصَرٌ: يَكْسِرُ ويُمِيل . ينظر: م. ن : ٣/٨٠٨ ، مادّة (هصر) .

[١٩] المقامات اللزوميّة : ٣٦٨ .

[٢٠] م. ن : ١٨٥ .

فعلى الرغم من أنّ الصدق من الفضائل العليا كان الكذب متفشّيا في المجتمع ، وقد كشفه الاستفهام (أين الذي لا يمين؟!) موميا بذلك إلى طغيانه على الصدق، فضلا عن أنّ شعره فيه إشارة إلى رذيلتي الغدر والخيانة في ضوء الشعور بندرة الوفيّ الأمين من الرجال .

وحذّر السرقسطيّ من الخُلُق السيّئ الذي يهدّم أركان المجتمع ولا يحقّق الأُلفة والوئام، فقال على سبيل الوعظ والإرشاد على لسان السدوسيّ وهو يوصي السائب وصاحبه :

((إيّاكُمَا وَالمزَاحَ، فَإنّهُ يُوْجِبُ الانْتِزَاحَ، ثُمَّ اللَجَاجَ والمِرَاءَ، وَالبَغْيَ وَالإفْتِرَاءَ، والظُّنُونَ الرَّوَاجِمَ، وَالخَطَرَاتِ الهَوَاجِمَ، وَمِنْ كَرَمِ الوِدَادِ، تَرْكُ الاستِبْدَادِ، وَصِدْقُ الطَّوِيّةِ، يَبْعَثُ عَلَى السَّوِيّةِ، وَمِنْ أَبَرِّ البِرِّ، كَتْمُ السِّرِّ،.... وَالبُخْلُ دَاءٌ، وَالكِبْرُ عِدَاءٌ، رَائِدُ البَغْضَاءِ، وَسَالِكُ الرَّمْضَاءِ، وَالتَّوَاضُعُ وَالإغْضَاءُ صِنْوَانٌ أَبَوَاهُمَا المَحَبَّةُ والإرْضَاءُ))[٢١] .

نلاحظ في مقامته تزاحم الصفات غير المحمودة التي نبّه إلى اجتنابها من مزاح وبغي وافتراء وكبر وغير ذلك ممّا لا يزيد المجتمع إلاّ تفتّتا .

وحثّ على عدم تتبّع عورات الناس لأنّ لكلّ إنسان عورات وزلاّت ، وليس على المعمورة امرؤ كامل، قال في "مقامة الدبّ " : ((فَتَأَمَّلْتُهُ وَتَأَمَّلَ ، وَتَلَفَّفَ في كِسَائِهِ وَتَزَمَّلَ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :[٢٢]

---

[٢١] م. ن : ٤١٤ .

[٢٢] م. ن : ٣٣٢ .

يَــا أيُّهَا النَّــاظِرُ فِي عَيْبِنَــا لاَ تَنْسَ مِنْ عَيْبِكَ مَا لاَ تَرَى
وَالمَرْءُ مِرْآة أخِيْــهِ فَــلاَ[٢٣] يَغْرُرْكَ مِنْ قَوْسِكَ مَــا وَتَّرَا
وَكُــلُّ ذي فَضْــلٍ لَهُ نَقْصُهُ وَلَو غَــدَا فِي بَــأْسِهِ عَنْتَرَا
أغْضِ جُفُوْنَا عَنْ أخِي عَثْرَةٍ أطَــالَ مِنْــهُ الدَّهْرُ أو بَتَّرَا

نجد أنّ هناك ترابطا وتجانسا بين فنّي الــشعر والنثــر، والتجــانس (أن يكون النصّ النثري والشعريّ حالة من التجانس والــتلاحم بينهمــا، فيأتي النصّ الشعري متمّما للنصّ النثري)[٢٤] فالسائب تأمّــل فــي وجــه السدوسيّ الذي كان هو الآخر ينظر في وجه الــسائب إلاّ أنّ الــسدوسيّ بفطنته وفراسته عرف بما يفكّر فيه السائب مــن الحيــل التــي يختلقهــا السدوسيّ ليظفر بعطايا الناس، فجاء الشعر متطرّقا إلى مسألة النظر فــي العيوب، أي متطرّقا إلى نقد اجتماعيّ، وهو أن يتتبّع المرء عورات أخيــه وينسى عيوبه، وبيّن أنّ المرء حين يغضّ الطرف عنهــا ويكــون مــرآة لأخيه ، يبصّره ويقوّمه عندئذ يتمّ الإصلاح والتآلف في آن واحد .

ومن الجوانب الاجتماعية التي وظّفها السرقسطي في مقاماته نقد الجانب القضائي، وذلك في "مقامة القاضي" حيث نقد شخصية القاضي المرتــشي والعاملين بين يديه الذين شاركوه في الفساد، فالقضاء الذي يجب أن يتّصف بالعدل والنزاهة طرأ عليه الفساد الأخلاقيّ، قال القاضي مخاطبا السجّان :

---

[٢٣] اقتبس جزءا من الحديث الشريف :(المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه) . سنن أبي داود : ٤/ ٢٨٠ ، رقم الحديث (٤٩١٨) .

[٢٤] المقامات اللزوميّة، دراسة أسلوبية : ١٦٦ .

((يَا أخَا المُجّان، بَلَغَني أنّكَ تُسَاهِمُ القَوْمَ في الغَدَوَاتِ وَالعَشَوَاتِ، وتُسَامِحُ في القَهَوَاتِ وَالنَّشَوَاتِ، وَأنَّ لَكَ عَلَى ذلكَ حِذْرَا، مَا سَمِعْتُ مِنْكَ فيهِ عُذْرَا، وَمَا الذي حَمَلَكَ عَلَى ذلك وَجَرّأكَ، وَخَلّصَكَ مِنْ هذه التَّبِعَةِ وَبَرّأكَ ؟ وَهَلاّ عَرَّفْتَنَا بِمَا صَنَعْتَ، وَأدَيْتَ مَا جَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، تَخْتَصُّ بِهِ دُوْنَنَا اخْتِصَاصَا، وَلاَ تَخَافُ اقْتِصَاصَ، وَاللهِ لا بَرّأكَ وَلا نَجّاكَ، وَلاَ أطْمَعَكَ وَلاَ رَجّاكَ، إلاّ أنْ تُسْلِمَ كُلَّ مَا في يَدَيْكَ، وَتَتَخَلَّى عَمّا لَدَيْكَ، وَإلاّ فَالحَدِيْدُ، والسَّوْطُ الجَدِيْدُ، حَتّى تَعْلَمَ ذُنُوْبَكَ، وَتَتَجَرَّعَ مِنَ الذُّلِّ ذَنُوْبَكَ[٢٥]، (قال): فَتَضَاءَلَ لَدَيْهِ تَضَاؤلَ الصَّبِيِّ، وَأظْهَرَ لُوْثَةَ[٢٦] الغَبِيِّ، وَأعْرَبَ وَأعْجَمَ، وَرَدَّدَ وَجَمْجَمَ، وقال : إنّ الذي نَضَّ مِنْ ذلكَ وَحَصَلَ، قَدْ خَلَصَ إلَيْكَ وَوَصَلَ، عَلَى يَدَيِ الكاتِبِ، وَقَدْ زَعَمَ أنّهُ مِنَ الرَّاتِبِ))[٢٧] .

ونودّ الإشارة إلى أنّ فساد القضاء وتواطؤ العاملين مع القضاة يندرج ضمن الموضوعات الاجتماعية وليس كما ذهب أحد الباحثين إلى عدّه موضوعا سياسيا[٢٨]، لأنّ منصب القاضي منصب اجتماعيّ ينظر في مشكلات المجتمع، ولو كان القضاء موضوعا سياسيا ما تولّى منذرُ بن سعيد البلّوطي (ت٣٥٥هـ) الظاهريُّ المذهب قضاءَ الجماعة بقرطبة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(ت٣٥٠هـ) إذ كان المذهب المالكي

---

[٢٥] الذَّنُوب : الدَّلو فيها ماء... وقيل : هي الدلو الملأى . لسان العرب : ١/ ١٠٨٠، مادّة (ذنب) .

[٢٦] لُوثة : الاسترخاء والبطء... ورجلٌ فيه لوثة أي استرخاء وحمق . م. ن : ٣/ ٤٠٨، مادّة (لوث) .

[٢٧] المقامات اللزوميّة : ٢٢٦- ٢٢٧ .

[٢٨] ينظر: المقامات اللزوميّة، دراسة أسلوبية : ١٦- ١٧ .

المذهب السائد في الأندلس ، بمعنى أنّ اختلاف المذهب لو كان سياسيا لشكّل تعيين البلّوطي قاضيا للجماعة خطرا على مُلك الدولة ولكن المذهب يتعلّق بمسائل الدين وأمور الحياة .

وثمّة شخصيّة في المقامة شاركت القاضي في الظلم ، وهي شخصيّة الكاتب ، وقد أراد السرقسطيّ من خلال هذه الشخصية أن يصبّ نقده وتوبيخه على القاضي الذي خان أمانة مهنته ، قال الكاتب متجرّئا على القاضي :

((إذا كُنْتَ تُعْنَى بالجَلِيلِ وَالحَقِيْرِ، وَتَبْحَثُ عَنِ الفَتِيلِ وَالنَّقِيْرِ، وَتُذْكِي عَلَيْنَا عُيُوْنَكَ ، وَتَسْتَوْفِي مِنّا دُيُوْنَكَ ، وَتُرْهِقُنَا عُسْرَا ، وَلا تُوْسِعُنَا يُسْرَا، وَنَحْنُ نَطَّلِعُ عَلَى هَنَوَاتِكَ، وَنُغْضِي عَلَى هَفَوَاتِكَ، وَكَمَا نَسْتُرُ عَلَى عَوْرَاتِكَ ، كَذَلِكَ لا نَصْبِرُ عَلَى بَدَرَاتِك[٢٩]، فَإِنّكَ الذي لا يَكْفِيْهِ قَلِيلٌ ولا كَثِيْرٌ ، ولا يَسْلَمُ مِنْ ظُلْمِه خَسِيْسٌ ولا أَثِيْرٌ ، تُسَاهِمُ في التُّرَاث، وَتُزَاحِمُ في الاحْتِرَاث ، وَتَسْتَمْطِرُ مِنْ صَيِّبٍ وَجَهَام، وَتَضْرِبُ في كُلِّ قَضِيّةٍ بِقَاصِلٍ[٣٠] وَكَهَامٍ[٣١] ، تَلْمَحُ الدِّرْهَمَ، فَتَرْكَبُ الأَيْهَمَ ، وَتَرَى الدِّيْنَارَ، فَتَقْتَحِمُ النَّارَ، لا تُبَالِي العَارَ، ولا تَرُدُّ المُعَارَ))[٣٢] .

---

[٢٩] البدرات : البَدْرَة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف سُمّيت بِبَدْرَة السَّخْلَة، والجمع البدور. لسان العرب: ١/ ١٧٤، مادّة (بدر) .

[٣٠] القَصْل : القطع، يقال : سيفٌ قاصلٌ أي قاطع . ينظر: م. ن : ٣/ ١٠٥، مادّة (قصل) .

[٣١] الكهام : السيف الذي لا يقطع . ينظر: م. ن : ٣/ ٣٠٩، مادّة (كهم) .

[٣٢] المقامات اللزوميّة : ٢٢٧-٢٢٨ .

انقسم قوله إلى أسلوبي المخاطب والمتكلّم، وبانت عليهما ملامح المحاججة والتفنيد في ضوء الابتداء بأسلوب الشرط (إذا) واستعراضه منهج القاضي التنظيري المتمثّل باقتفاء المُثُل العليا والإتيان بما يخالفه في الواقع العمليّ من تقصير وفساد، ويُفتَتَح جوابُ الشرط بالتوكيد (فإنّك) أي إقرار حقيقة مؤكّدة لا يعتريها ريبٌ لأنّها مستندة إلى رصدٍ وملاحظة دقيقَين من السرقسطيّ، وهو طمع القاضي الذي قاده إلى ارتضاء الرشوة، والظلم، وبخس الناس أشياءهم، وكان الطمع واضحا بالألفاظ الدالّة على القضايا المادّية (البَدَرات، التراث، الاحتراث، الدرهم، الدينار) .

وكان أسلوب المتكلّم قد جاء بصيغة الجمع أي الكثرة (نطّلع، نغضي، نستر، نصبر) وهو تعبير عن تجرؤ الكاتب وعدم خوفه من العواقب أي أنّه كان يتحدّث من منطلق القوّة، وتعبير أيضا عن افتضاح أمر القاضي عند الناس جميعا، أمّا مجيء أسلوب المخاطب بصيغة المفرد (تُعنى، تبحث، تُذكي، تستوفي، تُرهق، توسع) فقد عبّر عن موقف القاضي المهين المغلوب على أمره كالواحد أمام الكثرة ، فضلا عن أنّ الإهانة كانت صريحة بالألفاظ (هَنَواتك، هَفَواتك، عَوْرَاتك) .

وصوّر الطباق (قليل ، كثير) و(صيّب ، جهام) نوازع النفس الإنسانية، فهي لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع، أمّا الطباق (خسيس، أثير) و (قاصل، كهام) فبيّن أنّ الظلم والفساد قد نالا من جميع أفراد المجتمع، شريفها ووضيعها وبشتّى الأساليب غير الشرعية، وبالتالي فإنّ القطعة النثريّة بأساليبها المتنوّعة لمّحت الى اختلال الموازين في المؤسسة القضائية التي يعمّها الفساد من ذَهاب هيبة القاضي وتجرّؤ من أدنى منه رتبة عليه .

وكان موضوع البخل من الموضوعات المتناولة في المقامات اللزوميّة، قال السدوسيّ في "مقامة الحمامة " :[٣٣]

أيُّهَا البَاخِلُ عَنْ درْهَمه سَوْفَ يَبْلَى بَاخِلٌ عَمّا احْتَجَنْ
وَهُوَ المَالُ فَظِلٌّ زَائِلٌ كَذَّبَ المَالُ أَخَاهُ وَمَجَنْ
بَيْنَمَا يَحْلُبُ درّا حَاشِكَا[٣٤] قَفَّ[٣٥]مَرْعَىً مِنْ حَلُوْبٍ فَوَجَنْ
كَمْ خَفِيْفٍ بُلْبُلٍ[٣٦]فِي رَوْقِهِ أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَعَجَنْ

إذ حارب البخل في ضوء تبيينه أنّ الباخل سوف يُبتَلى بما بخل به لأنّ المال مرتهن بزوال والدهر متقلّب بالمرء بين الفقر والغنى وأنّ كلّ ما يجمعه البخيل سيفارقه لحظة مماته، أمّا في الآخرة فإنّه سوف يُسأل عن ذاك المال كيف جمعه ؟ وفيمَ أنفقه ؟ وبالتالي يُطوّق بما بخل به كما قال جلّ وعلا ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذابٍ أليم ﴾ (التوبة : ٣٤) وكلّ ذلك لمحناه في قوله (كذّب المال أخاه) لأنّ المال يَصدق صاحبَه حين يُكسَب بالحلال ويُنفق فيما هو أهل للإنفاق فيكون عندئذ حجّة له وليس عليه .

وبذلك حاول السرقسطيّ تطهير النفس الإنسانية من هذه الرذيلة، وعدّد الآثار السيّئة التي يتركها البخل في النفس والمجتمع فقال على لسان

---

[٣٣] م. ن : ٣٥٣ .

[٣٤] الحَشَك شدّة الدِّرَّة في الضرع وقيل : سرعة تجمّع اللبن فيه . لسان العرب : ٦٤٥/١ ، مادّة (حشك) .

[٣٥] قفَّتِ الأرضُ تَقِفُّ قَفّا : يَبِسَ بَقْلُها وكذلك قَفَّ البَقْلُ . م. ن : ١٣٨/٣ ، مادّة (قفف) .

[٣٦] يقال : رجلٌ بلبلٌ أي خفيفٌ ظريفٌ . ينظر: م. ن : ٢٦٢/١ ، مادّة (بلل) .

السدوسيّ : ((وَمَا يَنْفَعُ الانْقِطَاعُ، وَالشُّحُّ مُطَاعٌ، وَهَيْهَاتَ المُرْتَبَعُ، وَالهَوَى مُتَّبَعٌ، وَأَنّى الإيْجَابُ، وَقَدْ سَدكَ الإعْجَابُ، .... إنَّ البُخْلَ لَدَاءُ أدْوَاءٍ، وَخُلُقٌ أسواءٍ، رَأْسٌ فِي المُلاَوِمِ، وَخِزْيٌ في المُقَاوِمِ، يُقَبِّحُ الجَمَالَ، وَيُنَقِّصُ الكَمَالَ، وَوَرَاءَهُ الحِرْصُ وَالطَّمَعُ، وَأَمَامَهُ الخَبْلُ وَالزَّمَعُ[٣٧]، يَحْسَبُ نَفْسَهُ غَنِيًا وَهُوَ الفَقِيْرُ، وَيَرَى أنّهُ الجَلِيلُ وَهُوَ الحَقِيرُ، لا يَسْمُو إلَيْهِ أمَلٌ، وَلاَ لَهُ فِي المَجْدِ نَاقَةٌ وَلاَ جَمَلٌ[٣٨]))[٣٩] .

ولا نجد تناقضا بين ذمّه البخل وبين قوله في "المقامة القردية" :[٤٠]

وَاللهِ مَا فِي الأرْضِ مِنْ صَاحِبٍ إلاّكَ يَا دِرْهَمُ وَافِي الذِّمَامْ

أو قوله على لسان السدوسيّ يخاطب السائب في "المقامة البائية" :[٤١]

وَالمَالُ أخٌ إنْ مَالَ أخٌ أوْ عَاقَكَ مِنْ دهْرٍ عُقَبُ

فاتّخاذ المال صاحبا وأخا لا يصرّح ببخله لأنّ موقفه من البخل واضح، وإنّما يفسّر افتقاده الصحبة والخلاّن، إذ كان المال أوفى منهم، لأنّ المال لا يخذله في النوائب والأزمات مثل ابن آدم بدليل قوله :[٤٢]

وَكَيْفَ تَرْجُو مِنْ خَلِيلٍ هَوَىً وَأنْتَ فِي أزْمَتِهِ خَاذِلُ

فضلا عن أنّ طلب المال ليس مذموما إذا كان على سبيل الادّخار

---

[٣٧] الزَّمَع : رِذال الناس وأتباعهم ... والجمع أزماع . م. ن : ٤٥/٢ ، مادّة (زمع) .

[٣٨] تضمين للمثل القائل: (لا ناقتي في هذا ولا جملي). مجمع الأمثال : ١٦٦/٣ ، رقم المثل (٣٥٣٨) .

[٣٩] المقامات اللزوميّة : ٢١٥ .

[٤٠] م. ن : ٣٦٠ .

[٤١] م. ن : ٤٨٧ .

[٤٢] م. ن : ٤٢٢ .

بُغية التهيؤ والاستعداد لأيّام الشدائد والقحط، وهو يعدّ وسيلة لدوام العيش الرغيد، قال في مقامة القاضي :[٤٣]

إذا مَا المَالُ لَمْ يُسْعِدْ ... فَمَا غَيْلاَنَ[٤٤] مِنْ مَيِّ[٤٥]

فَمَا عِزِّي وَمَا ذُلِّي ... وَمَا نُطْقِي وَمَا عِيِّي

فَلاَ تَحْزَنْ عَلَى مَيْتٍ ... وَلاَ تَطْرَبْ إلى حَيِّ

وإنْ دَهْرٌ لَوَى ذَنَبَا ... فَطَاوِلْهُ عَلَى اللَّيِّ

وَكُنْ كَالشَّمْسِ فِي حَالَيْـ ... ـكَ مِنْ ظِلٍّ وَمِنْ فَيِّ

فَمِنْ أرْضٍ إلى أرْضٍ ... وَمِنْ حَيٍّ إلى حَيِّ

وإنّ الحَازِمَ اليَقْظَـ ... ـنَ ذُو نَشْرٍ وَذُو طَيِّ

وقد بيّنت استعارته الذَّنَبَ للدهر أنّ الأيّام لا تستقيم أحوالها مع الناس كما في ذنب الكلب مثلا من اعوجاج دائم وعدم استقامة، لذلك وعظ المرءَ بمطاولة الدهر وعدم القعود عن كسب الرزق، فالحياة الكريمة مطلب عزيز لا يتحقّق إلاّ بالعمل الدؤوب والعناء، فجيء بتشبيه الإنسان بالشمس التي لا تتوقّف عن الحركة شرقا وغربا ليبثّ التشبيه في النفس الحيوية والنشاط .

---

[٤٣] م. ن : ٢٣١ .

[٤٤] هو أبو الحارث غيلان بن عُقبة بن بُهَيش المعروف بذي الرُمّة، أحد فحول الشعراء، وأحد عشّاق العرب المشهورين، وحبيبته ميّة بنت مقاتل . تنظر ترجمته في : الشعراء والشعراء : ١/٥٣١- ٥٤٣ . وينظر: وفيات الأعيان : ٤/ ١١- ١٧ .

[٤٥] ميّة بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري، وقيس بن عاصم هو الذي قَدِمَ على رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) في وفد بني تميم فأكرمه... وكان ذو الرُمّة كثير التشبيب بها في شعره . وفيات الأعيان : ٤/ ١١ .

وفي البيت الذي يلي التشبيه جاءت التراكيب (من أرض إلى أرض)،(من حيّ إلى حيّ)، والطيّ والنَّشر مُلَمِّحةً بالحركة والنشاط وكأنّ الشعر في أبياته الأخيرة يتحرّك منسجما في ذلك مع المستوى الصوتي ، فالبحر الذي نظمت عليه القصيدة من البحور المجزوءة وهي تلائم مضمون الحركة، وبالتالي جسّد شعره صراع الإنسان مع الأيّام للوصول إلى السعادة وإلى حياة كريمة لا إذلال فيها، أي أنّ شعره حارب عيبا اجتماعيا وهو تقاعس الإنسان وقعوده عن العمل .

وهكذا دعا إلى السعي والاجتهاد ومجاراة الدهر عند الرزايا والتنقّل شرقا وغربا طلبا للرزق، وأن لا يبالي المرء من النوازل لأنّ الليالي لم تدع أحدا، قال السدوسيّ في "المقامة الهمزية" :(٤٦)

أيُّ بَاقٍ عَلَى اللَيَالِي مُقِيْمِ ... لَمْ تَنَلْهُ النَّعْمَاءُ وَالبَأْسَاءُ ؟
لاَ تُبَلْ فِي الزَّمَانِ مِنْ غَدْرِ قَوْمٍ ... أحْسَنُوْا في جِوَارِهِم أو أسَاؤوا
وَاطْلُبِ الرِّزْقَ بَيْنَ قَارٍ وَبَادٍ ... إنّمَا يَألَفُ البُيُوْتَ النِّسَاءُ

فلزوم الدار تحت الفيء والظلال انتظارا للرزق ليس من شيم الرجال، وإنّما المرأة من تألف البيت، وهو تمثيل مُجدٍ في استنهاض الخامل لئلاّ يتشبّه بالنساء ، فيهبّ من رقدته ويقطع الفيافي طالبا الحياة الكريمة ، وتلك سجيّة الأحرار، حيث قال :(٤٧)

---

(٤٦) المقامات اللزوميّة : ٤٧٩ .

(٤٧) م. ن : ١٠٤ .

والحُـرُّ مَنْ يَـأْلَفُ الهَجِيْرَ وَلاَ يَـأْلَفُ بَـرْدَ الأَفْيَـاءِ وَالظِّلَـلِ
أمَـا تَرَى المَـاءَ فِي قَرَارَتِـهِ يُجْفَى وَخَيْرُ المِيَاهِ ذُو الغَلَلِ[٤٨]

ومن نقده الاجتماعي الذي تناوله في مقاماتـه النهـي عـن الـشيء والإتيان به، وكثرة الأقوال بلا أفعال ، والقعود للفُتيا من ليس أهـلا لهـا، ولعلّه يتعرّض في ذلك إلى الفقهاء، قال السدوسيّ :

((مَا أَقْبَحَ بِالمَرْءِ يَنْهَى عَـنِ الـشَّيْءِ وَهُـوَ يَأْتِيْـهِ[٤٩]، وَيَـسْأَلُهُ الجَاهِلُ وَبِغَيْرِ عَمَلِهِ يُفْتِيْـهِ ، أيُّ شَـيْءٍ أعْـدَى عَلَـى الإنْـسَانِ، مِـنْ خَطَـلِ اللِـسَانِ ؟ يَقُـولُ مَـا لاَ يَفْعَـلُ، وَيَجْعَـلُ نَفْـسَهُ حَيْـثُ لاَ يُجْعَلُ، لَقَدْ رَضِيَ بِالخِزْيِ وَالعَـارِ، مَـنِ ادَّعَـى التُّقَـى وَهُـوَ مِـنْ ثَوْبِهِ عَارٍ))[٥٠] .

وفي موضوع الرياء قال :[٥١]

أسْمَعُ قَـوْلاً وَلاَ أرَى عَمَلاَ فَكَيْفَ تَرْجُـو بِتَـرْكِهِ أمَلاَ ؟
لَبِسْتَ ثَوْبَ الرِّيَـاءِ مُشْتَمِلاَ يَا بِئْسَ مَا ضَمَّ مِنْكَ وَاشْتَمَلاَ

---

[٤٨] الغَلَل : الماء الذي يتغلّل بين الأرض... وقيل: الماء الظاهر الجاري، وقيل: هـو الظاهر على وجه الأرض ظهورا قليلا وليس له جرية فيخفى مرّة ويظهر مـرّة . لسان العرب : ١٠٠٩/٣ ، مادّة (غلل) .

[٤٩] ينظر قول الشاعر :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وَتَأتيَ مِثْلَهُ عارٌ عَلَيكَ إذا فَعلْتَ عَظِيمُ

ديوان أبي الأسود الدؤلي : ١٦٥ .

[٥٠] المقامات اللزوميّة : ٢١٤.

[٥١] م. ن : ٢١٥ .

إذ صرّح في شعره عن خديعة من قعدوا للوعظ والإرشاد مرائين الناس بالدين وهم منطوون على شرّ وخداع، فقال محذّرا من أولئك الثلّة في "المقامة الجيمية" :[٥٢]

وَاحْتَرِسْ مِنْ خِدَاعِ قَوْمٍ ذِئَابٍ وُسِمُوا بِالوُعَّاظِ وَالحُجَّاجِ
طَالَ هَذَا العَنَاءُ بَيْنَ البَرَايَا وَالمُعَنَّى مِنْ رَأْيِهِ فِي لَجَاجِ

وكان السرقسطيّ يعلم أنّ مواقفه النقدية إزاء الأحداث الاجتماعية قد جلبت سخط الآخرين عليه، وجعلته غير محبّب عندهم لكنّ الذي أسلاه في محنته إيمانه بأنّ الله تعالى راضٍ عنه، قال على لسان السدوسيّ مخاطبا السائب :[٥٣]

وَلاَ تَكُنْ ذَا اعْتِنَاءٍ عَنِ الوَرَى وَاعْتِرَاضِ
. . . . . .
مَا ضَرَّنِي سُخْطُ قَوْمِي وَاللهُ عَنِّي رَاضِ

نَدْرة الصداقة والصديق :

شغل موضوع الصداقة والصديق حيّزا ليس قليلا في مقامات السرقسطيّ استدعى الوقوف عنده وتحليله ودراسته، وقد بيّن معاناته المتمثّلة في الشعور بالحرمان من الأصدقاء ومحاولة البحث عن رفيق درب يبادله المحبّة ويجعله يحسّ بألفة المجتمع لأنّه كان يشعر (بالمنفى الروحيّ)[٥٤] ، فضلا عن معاناة الخوف من الناس وتوقّع المكروه منهم،

---

[٥٢] م. ن : ٤٩٣ .
[٥٣] م. ن : ٣٨١ .
[٥٤] العزلة والمجتمع : ٩٣ .

لذلك تجسّدت تجربته القاسية في حاجته إلى خلٍّ يختاره من وَسَطٍ يصعب العيش معهم .

وموضوع اختيار الصديق ليس سهلا في كلّ زمان ومكان ولاسيما عند تدهور أوضاع المجتمع فعندئذ تتحوّل الصداقة إلى أزمة وغربة، وقد جاء في رسالة الصداقة والصديق ما قيل لفيلسوف: (مَن أطول الناس سفرا ؟ قال : مَن سافر في طلب صديق)[٥٥]

وكان السرقسطيّ يتنقّل في بلاد الأندلس طلبا للعلم، وقد كثرت بهذا التجوال تجاربه مع الآخرين ، وعلى الرغم من ذلك لم يجد له صديقا أو حبيبا، إذ قال في مقاماته "البائية" على لسان السدوسيّ :

((فَإنِّي قَدْ جَرَّبْتُ كُلَّ التَّجْرِيْبِ، وَأَمْعَنْتُ فِي النُّزُوْحِ وَالتَّغْرِيْبِ، وَصَاحَبْتُ القَبَائِلَ وَالشُّعُوْبُ، وَأُفْلِتُّ مِنْ يَدَيْ شَعُوْبِ[٥٦]، فَمَا ظَفِرْتُ بِحَبِيْبٍ، وَلاَ عَثَرْتُ عَلَى لَبِيْبٍ، وَلاَ حَصَلْتُ إلاّ عَلَى عِنَادٍ نَاصِبٍ، وَشَقَاءٍ وَاصِبٍ، وَبَذْلِ المَحْضِ وَاللُّبَابِ، فِي السَّرَابِ وَاليَبَابَ، كَأَنَّمَا أَلْمَسُ ظَهْرَ حُبَابٍ، أو أَجْمَعُ كَفِّي عَلَى حَبَابٍ، وَمَا سِمْتُ الصَّاحِبَ قَطُّ عِتَابَا، بَلْ أَوْسَعْتُهُ إِرْضَاءً وَإِعْتَابَا))[٥٧] .

---

[٥٥] رسالة الصداقة والصديق : ٥٤ .

[٥٦] شَعُوب : المنيّة، يقال : شَعَبَتْهُم المنيّةُ أي فرّقَتْهم . ينظر: لسان العرب : ٣٢١/٢ ، مادّة (شعب) .

[٥٧] المقامات اللزوميّة : ٤٨٦ .

والذي تزداد تجاربه مع أفراد مجتمعه لابدّ أن يصيبه شيء من ظلمهم لذلك قال السدوسيّ مخاطبا السائب :[٥٨]

لم تَدْرِ مَا الدَّهْرُ وَلاَ مَا الورَى؟ فَأنْتَ غِرٌّ بَيْنَهُم يَافِعُ
مَنْ خَالَطَ النَّاسَ فَلاَ غَرْوَ أنْ يَصْقَعَهُ مِنْ كَيْدِهِم صَافِعُ

وممّا وجده من المخالطة ووثّقه في مقاماته خذلان الصاحب أخاه في وقت الأزمات وعدم الشعور بكربته، ومعلوم أنّ الصديق يُعرف عند الشدائد، قال السدوسيّ :[٥٩]

كَمْ لَكَ يَا سَائِبُ مِنْ عَاذِلٍ وَأنْتَ في فِعْلِيَ ذَا عَاذِلُ ؟
قَدْ كَانَ ذلكَ العَذْلُ أوْلَى بِنَا لَوْ أنّكَ الوَاهِبُ وَالبَاذِلُ
وَكَيْفَ تَرْجُو مِنْ خَلِيلٍ هَوَىً وَأنْتَ في أرْمَتِهِ خَاذِلُ ؟!
للهِ أخُوْ كُرْبَةٍ قَدْ نَامَ عَنْهَا الفَارِحُ الجَاذِلُ

ووجد السرقسطيّ صعوبة في الانسجام مع المجتمع، فقد كان حظّ تجربته الاجتماعية أن يرى الوجه العابس، وذا المكر والغدر، ومَن ليس له إخاء ولا يحفظ عهدا، قال السائب :

((رَمَتْ بِي رَوَامِي الأعْوَازِ، إلى أرْضِ الأهْوَازِ، وَقَدْ وَقَفَتْ في مَوَاقِفِها الجُدُودُ، وَضَنَّتْ بِدَرِّهَا الحَلُوبُ وَالجَدُوْدُ[٦٠]، وَعَثَرَ بِي مِنَ الجَدِّ عَاثِرٌ، وَنَثَرَ شَمْلِي مِنَ الدَّهْرِ نَاثِرٌ، لاَ أُبْصِرُ وَجْهَا إلاّ عَابِسَا، وَلاَ أهْصِرُ

---

[٥٨] م. ن : ٢١٦ .

[٥٩] م. ن : ٤٢١- ٤٢٢ .

[٦٠] الجَدود : يقال : ناقة جَدود إذا انقطع لبنُها، والجَدود أيضا النعجة التي قلّ لبنُها . ينظر: لسان العرب: ٤١٤/١ ، مادّة (جدد) .

غُصْنَا إلاّ يَابِسَا، أُلاقِي النَّاسَ ذِئْبا خَاتِلا، أو قِرْنَا[٦١] قَاتِلا، يَكْلَحُ وَيُكَاشِرُ، وَلاَ يُوَاخِي وَلاَ يُعَاشِرُ))[٦٢] .

وأكثر ما يقسو على المرء ويؤلمه أن يفجع من أحبّته، فإنّ ذلك يترك جرحا نفسيا ونظرة تشاؤمية تجعله لا ينظر في الحياة إلاّ السواد، ونلاحظ ذلك في قول السدوسيّ مخاطبا السائب في "المقامة النجوميّة" :[٦٣]

لاَ تَرْكَبِ البَحْرَ وَارْهَبْ إنْ عَبَّ مِنْهُ عُبَابُ
النَّاسُ أغْدَرُ شَيْءٍ لاسيّمَا الأحْبَابُ
وَلَيْسَ في الأرْضِ حُرٌّ الدَّارُ قَفْرٌ يَبَابُ
وَاصِلْ خَلِيلَكَ غِبّا[٦٤] فَوَصْلُكَ الإغْبَابُ
وإنْ حَلَلْتَ بِدَارٍ فَلاَ يَطُلْ إلْبَابُ

شبّه السرقسطيّ مخالطة الناس بركوب البحر ليزرع الحذر والخوف في النفس عند معاشرتها الآخرين لأنّه سوف يرى فيهم مَن لا عهد له ولا أمان، وقد عبّر عن ذلك لفظُ (البحر) لما فيه من مكرٍ وغدرٍ، وكما قال الشاعر: [٦٥]

ثَلاثَةٌ لَيْسَ لَهَا أمَانُ البَحْرُ والسُّلْطَانُ وَالزَّمَانُ

---

[٦١] يقال: رجلٌ قارِنٌ أي ذو سيف ونَبل، فالقرن يعني السيف أو النبل. ينظر: م. ن : ٣/٧٦ ، مادّة (قرن) .

[٦٢] المقامات اللزوميّة : ٢٠٨.

[٦٣] م. ن : ٢٩٩ .

[٦٤] اقتباس من الحديث الشريف : (زُر غبّا تَزْدَدْ حُبّا). المستدرك على الصحيحين : ٣/ ٣٩٠ ، رقم الحديث (٥٤٧٧) .

[٦٥] نفح الطيب : ٨/ ١٣٩ .

ولم يكفِه الإيماء إلى الغدر بلفظ البحر لأنّ الغدر كان أكبر من أنْ يضمّه صدرُه كونه وقع من أحبّة وليسوا غرباء، فجيء بلفظ (أغدر) لتنطلق من خلاله شكواه وحسراته، وقد كان لذاك الغدر أثر بليغ في نفسه انسجم وصيغة التفضيل، وقد وصل به إلى التحامل على مجتمعه فأصبح لا يرى على الأرض حرّا وهي المعمورة بشرا، فالنظرة السوداوية واضحة في نفيه بـ(ليس) وجود خلٍّ مُوَافٍ، واستخدامه أسلوب التقديم والتأخير (في الأرض حُرّ) ليؤكّد إحساسه بخلوّ الدار من الصديق، ثمّ كرّر المعنى بأسلوب الابتداء وهو أنّ الأرض قفرٌ يبابٌ لا أحبّة فيها .

وبعدها انتقل إلى موضوع زيارة الأخوان واعظا بأسلوب الأمر (واصِلْ) بزيارة الغِبّ، وهي المواصلة بين حينٍ وآخر وليس بصورة مستمرّة مستعينا بالحديث النبوي (زُر غِبّا تزددْ حُبّا) وذلك لتبقى المودّة والشوق، وقد أكّد ذلك في موضع آخر قائلا : ((وَكُلّمَا زَادَ الحُبُّ وَجَبَ الغِبُّ))[٦٦] حتّى لا يشوب العلاقةَ الملل أو الضجر، لأنّ الملل يقود إلى الجفاء والجفاء ينذر الصحبة بالافتراق، بدليل قوله :[٦٧]

وَالضَّيْفُ إنْ طَالَ مَكْثُهُ غرَضٌ يُرْمَى بِسَهْمِ الجَفَاءِ وَالمَلَلِ

ثمّ نهى عن المكوث طويلا عند الزيارة لئلاّ يصبح الزائر ثقيلا ويُقلى، ولسنا نعلم أكان السرقسطيّ يكثر من زيارة أحبابه فانتُقد أو وجّهت الملامة إليه أم أنّه كان يعاني من كثرة زيارة الآخرين له؟ والذي

---

[٦٦] المقامات اللزوميّة : ٤٦٢ .

[٦٧] م. ن : ١٠٤ .

يعنينا أنّ القصيدة كانت درسا اجتماعيا تلاءم وطابع الوعظ والإرشاد الذي غلب عليها، وهو الدعوة إلى الوئام الاجتماعي وتقوية نسيج العلاقات بين الأفراد بعيدا عن الفرقة وبغض أحدهم الآخر.

وبسبب غدر الأحبّة وفقدان الخليل الوفيّ وصلت الحال به إلى القول بترك الوفاء ، قال السدوسيّ في "المقامة الجنّية" :[٦٨]

تَرْكُ الوَفَـاءِ وَفَـاءُ ... وَأينَ مِنْكَ الصَّفَـاءُ ؟!

كَلِفْتُ بِالبِـرِّ دَهْـرَا ... حتّى اسْتَفَاضَ الجَفَـاءُ

نَفْسِي الفِـدَاءُ لِحُـرٍّ ... وَمَـا لِحُـرٍّ كَفَـاءُ

قَـدْ كَـانَ يُقْنِعُ مِثْلِي ... مِنَ الوَفَـاءِ اللِفَـاءُ[٦٩]

لكِـنَّ دَهْـرَكَ هَـذَا ... سَيْلٌ بَنُـوْهُ جُفَـاءُ

وَكَمْ عَمِرْتُ وَشَـأنِي ... مَبَـرَّةٌ وَاحْتِفَـاءُ

فَمَـا ظَفِرْتُ بِحُـرٍّ ... يَكُـوْنُ مِنْـهُ وَفَـاءُ

نجد موضوع المقامة الجنّية يقوم على فكرة احتيال السدوسيّ مدّعيا براعته في الطبّ الروحانيّ ومعرفته بتكليم الجنّ وإخراجه من الممسوس أو المتلبّس به ليشير المقاميّ بذلك إلى الأساليب الخدّاعة التي يسلكها بعض الأشرار لتنهال عليهم الهبات والأموال، ثمّ تحوّل من موضوع الحيلة والمكر ليختم مقامته بشعر لا علاقة له بموضوع الخديعة وهو "الوفاء

---

[٦٨] م. ن : ٤٣٠ .

[٦٩] اللفاء : الشيء اليسير القليل . ينظر: لسان العرب : ٣٨٣/٣ ، مادّة (لفا) . وقد ضمّن السرقسطيّ في شعره المثل القائل :(رَضِيَ من الوفاء باللفاء) . مجمع الأمثال : ٢/ ٥١ ، رقم المثل (١٦٠٤) .

والصحبة "، وهذا يقودنا إلى القول :

إنّ موضوع الصداقة كان يشكّل عقدةً نفسيةً استبدّت في نفس السرقسطيّ بحيث كانت تلاحقه في كتاباته المقامية التي لا تمتّ بصلة إلى مضمون الصداقة، وسوف نلاحظ تلك العقدة أيضا في تطرّقه إلى الصحبة في مقامته القردية .

وقد برز في أبياته التشاؤم والشكوى في آنٍ واحد، فالتشاؤم تجسّد في تركه خصلة من الخصال الحميدة وهي الوفاء، ولا يعني ذلك محاربته خُلُقا محمودا وإنّما لم يجد من يستحقّ وفاءه فيوافيه بدليل قوله في موضع آخر:[٧٠]

عِنْدِي الوَفَاءُ وَعِنْدِي البِرُّ وَاللُّطَفُ لَوْ أنَّ أبْنَاءَ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ عَطَفُوا
وَمَا جُبِلْتُ عَلَى غَدْرٍ وَلاَ مَلَلٍ لكِنَّهَا شِيَمٌ مَا عَابَهَا نُطَفُ[٧١]

إذ كان يشعر بفقدان الوفاء عند الناس، أمّا الشكوى فأومى إليها استفهامه عن الصفاء المفقود (وأين منك الصفاء؟) وبحثه عن خليل مخلص يبادله البرّ والوداد فلم يجد سوى أُناس جُفاة، وكان يقنع بشيءٍ يسير يأتي منهم ويدلّ على وفائهم إلاّ أنّ هذا القليل عزّ مناله أيضا، فوجد الوفاء مستغربا عند أولئك الشُذّاذ، قال السدوسيّ :[٧٢]

إنَّ هذا الوَفَاءَ شَيْءٌ غَرِيْبٌ أهْلُهُ في زَمَانِهِم شُذّاذُ

---

[٧٠] المقامات اللزوميّة : ٢١١ .

[٧١] النُّطَف : العيب . لسان العرب : ٦٦١/٣ ، مادّة (نطف) .

[٧٢] المقامات اللزوميّة : ٢٠٢ .

ولمّا لقي ما لقي في تجربته المُرّة وعدم الظفر بخلّ أو حبيب حاول اعتزالهم كردّ فعلٍ على ما كان يجد من شرورهم، قال السدوسي :

((فَقَدْ حَذِرْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَفَرِقْتُ، وَغَصَصْتُ بِأبْنَائِهِ وَشَرِقْتُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَنْقُصُ عِنْدَمَا يَزِيْدُ، وَقَدْ تَابَ عَمّا تَعْلَمُونَ يَزِيْدُ[٧٣]، أَنَا اليَوْمَ أَتَرَبَّصُ بِالشِّفَافِ[٧٤]، وَأَقْنَعُ بِالكِفَافِ، وَأَتَلَفَّعُ بِالعَفَافِ، وَكَيْفَ لاَ وَالعُمْرُ قَدِ انْصَرَمَ، وَالرَّفِيْقُ قَدِ انْخَرَمَ؟! وَبَقِيْتُ وَاحِدًا فِي الوَفْضَةِ[٧٥]، أَرْتَاعُ لِلنَّفْضَةِ[٧٦]))[٧٧] .

وكانت علّة حذره شعورَه بالخوف من مجتمعه، فاختار الابتعاد عنهم ليشعر بالأمان من غدرهم، قال السدوسيّ :[٧٨]

أَنَا لِسَانُ الزَّمَانِ لَكِنْ ... كَلَّمْتُ دَهْرِي بِتُرْجُمَانِ
وَقَدَ حَذِرْتُ الأَنَامَ حَتَّى ... حَذِرْتُ مِنْ خَاطِرِ الأَمَانِ
قَطَعْتُهَا وَالرَّجَاءُ حَادٍ ... مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ إِلى عُمَانِ
فَمِنْ ذِئَابٍ وَمِنْ كِلاَبٍ ... وَمِنْ هِزَالٍ وَمِنْ سِمَانِ

---

[٧٣] يزيد : قال محقّق كتاب المقامات اللزوميّة عنه :(لعلّه يعني نفسه) . ينظر: المقامات اللزوميّة : ٤١٧ ، هامش رقم (١٥) من هوامش المقامة الرابعة والأربعين .

[٧٤] الشِّفَاف : جمع شَفِيف، هو لَذْع البَرد . لسان العرب : ٣٣٥/٢ ، مادّة (شفف) .

[٧٥] الوفضة : الجعبة . لسان العرب : ٩٥٩/٣ ، مادّة (وفض) .

[٧٦] النفضة : النافض : حُمّى الرِّعْدة، وقد نَفَضَتْهُ وأَخَذَتْهُ حُمّى نافضٍ ...والنُّفَضة : الرِّعْدة . م. ن : ٦٩٢/٣ ، مادّة (نفض) .

[٧٧] المقامات اللزوميّة : ٤١٣ .

[٧٨] م. ن : ٤١٥.

إلاّ أنّ الحذر لم يعالج مشكلةً لأنّ الانسلاخ عن المجتمع محال بحكم الأعراف الاجتماعية التي توجب المخالطة والتعايش، وقد قيل : (الإنسان مدنيٌّ بالطبع)[٧٩] لذلك كان مكرها على الابتلاء ببني جنسه، وكما قال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) الذي شابه السرقسطيّ في اصطلائه بنصيب من فتنة عصر ملوك الطوائف : (وداء الإنسان بالناس أعظم من دائه بالسباع الكلبية والأفاعي الضارية لأنّ التحفّظ من كلّ ما ذكرنا ممكن ولا يمكن التحفّظ من الإنس أصلا)[٨٠].

وازدادت حياته تعقّدا وألما لأنّ الحذر جلب مشكلة نفسيّة تمثّلت بالشعور بالوحدة ولكن لشدّة ما كان يلقاه من مجتمعه من الأذى توصّلت غربته إلى أنّ الاستئناس بالسباع خير من معاشرة الأنام، قال السائب :

((وَغَاضَ الوَفَاءُ، وَرُفِعَ الخَفَاءُ، وَخَسَتِ الهِمَمُ، وَخَاسَتِ الذِّمَمُ، وَلاَ صَدِيْقَ يُشَارِكُ، وَلاَ عَدُوَّ يُتَارِكُ، وَلاَ زَمَنَ يُسَالِمُ، وَلاَ رَفِيْقَ يُحَالِمُ، حَتَّى لَقَدْ صَارَتِ السِّبَاعُ آنسَ مِنَ الأَنَامِ، وَاليَقَظَةُ أَوْحَشَ مِنَ المَنَامِ))[٨١] .

وبعد الشعور بالوحدة نتيجة الحرمان من الصّحب وكذلك بدأ يطلب لواقعه السقيم مواسيا يسليه في اغترابه الروحيّ، قال السائب :

((وَرَدْتُ سِنْجَارَ، وَقَدْ فَارَقْتُ الوَكَنَ وَالوِجَارَ[٨٢]، وَعَدِمْتُ الصَّاحِبَ

---

[٧٩] رسالة الصداقة والصديق : ١٩١ .

[٨٠] رسائل ابن حزم الأندلسيّ : ١٦٤- ١٦٥ .

[٨١] المقامات اللزوميّة : ٤١٢ .

[٨٢] الوجار : جُحر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك والجمع أوْجِرَة ووُجُر. لسان العرب : ٨٨١/٣ ، مادّة (وجر) .

وَالجَارَ، وَرَفَضْتُ الحَسَبَ وَالنِّجَارَ، لاَ أَتَوَرَّدُ مِنْ الأُنْسِ مَنْهَلا، وَلاَ أَتَوَسَّمُ مِنْ الأَرْضِ إلاّ مَجْهَلا، فَصِرْتُ أَطْلُبُ مُوَاسِيَا، وَأَبْتَغِي لِعِلَّةِ حَالِي آسِيَا))[٨٣] .

وتعدّ الصداقة إحدى آمال الإنسان في القضاء على العزلة، إذ إنّ ذاته ستنعكس في ذات أخرى يتوحّد معها ويتّصل بها اتّصالا روحيا[٨٤] وكان السرقسطيّ يرى في الصداقة مهربا من عزلته وسجنه النفسيّ لكنّ هذا الاتّصال لم يتحقّق، فلم يجد إلاّ الصبر على جنايات الصاحب، قال السدوسيّ مخاطبا السائب في "المقامة النجومية" :[٨٥]

وَاصْبِرْ عَلَى خِلِّكَ مَهْمَا جَنَى فَإِنَّمَا الصَّبْرُ عِنَانُ النَّجَاحْ

وقنع بطيفٍ من الصاحب لأنّ الصاحب حقيقةً مفقود، إذ شيمته الجفاءُ، قال السدوسي:[٨٦]

مَا أَوْلَعَ المَرْءَ بِالتَّجَافِي ! لاَ الشَّيْخُ بَرٌّ وَلاَ الغُلاَمُ

يَكْفِيْكَ مِنْ صَاحِبٍ خَيَالٌ يَسْرِي إذا عَسْعَسَ الظَّلاَمُ

ونتيجة للتجارب التي أحكمته والمواقف التي خَبُرَ بها الناس جاءت بعض الأشعار في مقاماته متّخذة قالب الحكمة أو معبّرة عن شخصية الواعظ الذي ينطق عن عمق تجربة وتأمّلات طويلة ، فعلى سبيل المثال

---

[٨٣] المقامات اللزوميّة : ١١٠.

[٨٤] ينظر: العزلة والمجتمع : ١١٤.

[٨٥] المقامات اللزوميّة : ٢٩٩.

[٨٦] م. ن : ٣٨٠ .

قال السدوسي محذّرا السائب :[٨٧]

لاَ تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى بِـهِ ... وَإِنْ ثَنَتْـهُ لِلْهَـوَى أَبْصُـرُ
وَلاَ تُـوَاخِ الدَّهْـرَ إلاّ فَتَـىً ... يَدْفَعُ عَنْكَ الضَّيْمَ أو يَنْصُـرُ
الخِدْنُ عُنْوَانٌ عَلَى خِدْنِـهِ[٨٨] ... يُبْصِـرُهُ الحَـاسِدُ أو يَبْصُرُ
وَمَنْ يُطَـاوِلْ عَنْ أخٍ عَاجِـزٍ ... فَبَاعُـهُ يَـوْمَ العُلَى تَقْصُـرُ

إذ نهى عـن مـصاحبة الخـسيس لأنّ المـرء يتـأثّر بـأخلاق من يصاحب، ودعا إلى معاشرة الإنسان السَّويّ الذي يُقوّم أخاه إن أخطـأ وينصره عنـد الظلـم، وقـد طـرح السرقـسطيّ ذلـك فـي مقامتـه "القردية" التي تلخّص موضوعها في فكرة الاحتيال علـى يـد الـسدوسيّ وقرده لكنّه تداخل موضوع الصحبة فـي موضـوع الخديعـة والحيـل، وهذا التداخل يعدّ علامة دالّة علـى عقـدة السرقـسطيّ إزاء موضـوع الأخلاّء، فضلا عن أنّه (مَخرج جيّد للخروج من الأحداث المقامية، كمـا أنّها قد تعبّر عـن تلخـيص خفـيّ لقـانون الـصداقة وكيفيـة اختيـار الصديق الأفضل)[٨٩] .

ونهى المرء عن الركون إلى الصاحب الذي تنطوي نفـسه علـى الكبر فيستكثر على الآخرين محبّته، قال السدوسيّ واعظا السائب :[٩٠]

---

[٨٧] م. ن : ٣٦١ .

[٨٨] اقتباس من الحديث الشريف : (الرجلُ على دينِ خَليلِهِ فَلْينظُرْ أحَدُكُم مَنْ يُخالِل) . سنن الترمذي : ٤/ ٥٨٩، رقم الحديث (٢٣٧٨) .

[٨٩] المقامات اللزوميّة، دراسة أسلوبية : ١٦٤ .

[٩٠] المقامات اللزوميّة : ٤٥٧ .

لا تَرْكَنَنَّ لِخِلٍّ يَرَى هَوَاهُ إمَامَا
وَجَاهِدِ النَّفْسَ عَنْهُ كَمَا تَعَافُ السِّمَامَا[٩١]
وَاخْشَ الهَوَى فَلأَمْرٍ بَكَى الحَمَامُ الحَمَامَا

وبسبب تجربة الصديق التي أخفقت مع السرقسطيّ تجلّت النظرة السوداوية في ضوء إساءته الظنّ بالصاحب وذلك في قول السدوسيّ ناهيا :[٩٢]

لا تُخْدَعَنَّ الدَّهْرَ في صَاحِبٍ وَلَو ثَنَى دُوْنَكَ رَيْبَ المَنُوْنْ
وَكُنْ عَلَى ظَنٍّ وَرَيْبٍ بِهِ فَإنّمَا الحَازِمُ رَبُّ الظُّنُوْنْ[٩٣]

وقد عزا السرقسطيّ مشكلة فَقد الأخلاّء وابتلاءه بأناس لا معشر لهم إلى الدهر، قال السدوسيّ في "المقامة البربريّة" :[٩٤]

أمَا تَرَى الدَّهْرَ يَا فَتَاهُ يَلْعَبُ بِالمَرْءِ أو يَدُوْرُ ؟
كَمْ لِي مِنْ صَاحِبٍ وَخِدْنٍ هَذَا وَفِيٌّ وَذَا غَدُوْرُ
صَاحَبْتُ كُلاّ عَلَى هَوَاهُ لله مَا ضَمَّتِ الصُّدُوْرُ

وقوله (لله ما ضمّت الصدور) دلّ على أنّ هناك أشياء يحملها في صدره وقد آلمته، وحينما لم يحدّد ما ضمّ صدرُه جعل المعاني قابلةً

---

[٩١] السّمام : جمع السَّم أو السُّم، وهو السّمّ القاتل . ينظر: لسان العرب : ٢٠٧/٢ ، مادّة (سمم) .

[٩٢] المقامات اللزوميّة : ١١٤.

[٩٣] ينظر: الحديث الشريف (الحزم سوء الظنّ) . مسند الشّهاب : ١/ ٤٨ ، رقم الحديث (٢٤) وينظر المثل القائل :(الحزم سوء الظنّ بالناس) . مجمع الأمثال : ١/ ٣٦٩ ، رقم المثل (١١٠٦) .

[٩٤] المقامات اللزوميّة : ٣٨٧ .

لتأويلات كثيرة من هموم وأحزان وجراح ومصائب، لذلك كان عدم التصريح أبلغ من التصريح .

وتجدر الإشارة إلى أنّ السرقسطيّ وإن اتّخذ موقف العزلة والانفراد في مقاماته اللزوميّة بسبب الأوضاع الاجتماعية السيّئة إلاّ أنّه لم ينقطع عن التفكير بمصير مجتمعه على الرغم من شعوره بأنّه غريب فيهم ومبغَض منهم، ومعلوم أنّ (القيمة الفنّية للأثر الأدبي لا تنفصل عن التزام التجربة بقضايا المجتمع)[٩٥] وبذلك عبّرت فلسفته الفردية عن مضمون جماعيّ واصطبغت مقاماته في مواضع ليست قليلة بسمة الواقعية .

وهكذا عرضت المقامات اللزوميّة جانبا من الواقع الاجتماعيّ الأندلسيّ، ولا نتّفق مع ما قيل: إنّها لم تقدّم صورا من حياة الأندلس، وأنّ الكاتب انطلق من منطلق الفنّان الذي يريد تصوير بعض الجوانب الفنّيّة والثقافية لبيئته ولم ينطلق من منطلق الثورة الاجتماعية[٩٦] .

إذ كشف السرقسطيّ عن مساوئ اجتماعية كثيرة قد تفشّت في المجتمع الأندلسيّ، ولم يتّخذ موقف الصمت بل وعظ وحذّر ونهى، بمعنى أنّ نزعته النقدية كانت نزعة إصلاحيّة، فضلا عن أنّ نقد المساوئ وحده يعدّ لونا من ألوان الإرشاد والتوجيه ولكن بأسلوب غير مباشر لأنّه تعبير عن عدم الرضا بما هو مطروق، وبذلك يمكن القول : كان السرقسطيّ أديبا اجتماعيا إصلاحيا .

---

[٩٥] التحليل النقدي والجمالي للأدب : ٢١.

[٩٦] ينظر: فنّ المقامات بين المشرق والمغرب : ٢٧١، ٢٩٠.

الخاتمـــة :

في ضوء ما تقدّم نتوصّل إلى جملة من النتائج أبرزها :

- كانت المقاماتُ اللزوميّة الوثيقةَ التي دوّن فيها السرقسطيّ نقده وأفكاره، واصطبغ ذلك النقد بطابع الشكوى والتشاؤم ولاسيما في موضوع الصداقة والخلاّن الذي ارتبط بنفسيته ارتباطا وثيقا كونه موضوعا ذاتيا يبحث في ائتلاف الذات وتعالق الروح بالروح، ونقل السرقسطيُّ نفسَه في أثناء طرح انتقاداته لأنّ ذلك يمثّل موقفا وردّ فعلٍ، وبذلك عرض النقد الاجتماعيّ فكرا ومشاعر بأسلوب أدبيّ .
- كشف السرقسطيّ عن مساوئ اجتماعية كثيرة بثّها في أماكن متفرّقة من مقاماته، ومنها : الكذب والغدر والرياء والخيانة وتتبّع عورات الآخرين وإلى ما شابه ذلك من الرذائل، لذلك لم يكن نقده الاجتماعيّ من نسج الخيال وإنّما كان مستمدّا من الواقع معتمدا في ذلك دقّة ملاحظاته وحُسن التفاتاته .
- أخفق في إيجاد إلفٍ وصحبةٍ، فآثر العزلة والانزواء على الاختلاط والمعاشرة، والنتيجة أنّ افتقاده الخُلّة الحميمة جعلته يقاسي اغترابا نفسيا ويلحّ في طَرق موضوع الصداقة والخلاّن لأنّه بات في عداد أمنياته، وتبقى تجربته في هذا الميدان تجربةً فردية إلاّ أنّها حملت معنىً كبيرا عن الصداقات والمجتمع .

- ارتبط موضوع الدهر والزمان بموضوع النقد الاجتماعيّ، فالسرقسطيّ عزا إلى الدهر والزمان جانبا كبيرا من تدهور الأوضاع الاجتماعية .
- التزم السرقسطيّ حرفين في السجع وربّما ثلاثة أحرف كما فعل أبو العلاء المعرّي (ت ٤٤٩هـ) في ديوانه "اللزوميّات"، وكانت ثقافته اللغوية المتينة إلى جانب شاعريته قد جعلتا سجعه سهلا منسابا بعيدا عن الاصطناع أو التكلّف .

القرآن الكريم :

١. الأدب العربي في الأندلس، د. عبد العزيز عتيق، بيروت، دار النهضة العربية، ط٢- ١٩٧٦م .

٢. بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحّاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١ - ١٩٦٤م .

٣. تاريخ الأدب الأندلسيّ، عصر الطوائف والمرابطين، د. إحسان عبّاس، بيروت، دار الثقافة، ط٢- ١٩٧١م .

٤. التحليل النقديّ والجماليّ للأدب، د. عناد غزوان، بغداد، سلسلة دار آفاق عربية (٦)، ١٩٨٥م .

٥. ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكّري، تحقيق : محمّد حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١- ١٩٧٤م .

٦. رسائل ابن حزم الأندلسيّ (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق : إحسان رشيد عبّاس، مصر، مكتبة الخانجي، بغداد، مكتبة المثنى، مطبعة دار الهنا بمصر، (د.ت) .

٧. رسالة الصداقة والصديق، أبو حيّان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ)، تحقيق : د. إبراهيم الكيلاني، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٤م .

٨. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، تحقيق : محمّد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، (د.ت) .

٩. سنن الترمذي ، محمّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٩٧هـ)، تحقيق : أحمد محمّد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت) .

١٠. سيكولوجية الإبداع في الفنّ والأدب، يوسف ميخائيل أسعد، بغداد ، دار الشؤون الثقافيّة العامّة ، القاهرة ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، مطابع دار الشؤون الثقافيّة العامّة ، ١٩٨٤م .

١١. الشعراء والشعراء، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح : أحمد محمّد شاكر، مصر، دار المعارف، ط٣- ١٩٧٧م .

١٢. العزلة والمجتمع، نيقولاي برديائف ، ترجمة : فؤاد كامل، مراجعة : علي أدهم، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢- ١٩٨٦م .

١٣. فن المقامات بين المشرق والمغرب ، د. يوسف نور عوض، بيروت، دار القلم، ط١- ١٩٧٩م .

١٤. لسان العرب، جمال الدين محمّد بن مكرّم بن علي بن منظور(ت٧١١هـ)، إعداد وتصنيف : يوسف خيّاط ، نديم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب، (د.ت) .

١٥. مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم الميداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل، ط٢- ١٩٨٧م .

١٦. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢- ٢٠٠٢م .

١٧. مسند الشِّهاب، محمّد بن سلامة بن جعفر، أبو عبد الله القضاعي (ت٤٥٤هـ)، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢- ١٩٨٦م .

١٨. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمّد (ت٥٩٤هـ)، ابن الأبار(ت٦٥٨هـ)، تحقيق : إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط١- ١٩٨٩م .

١٩. المقامات اللزوميّة ، أبو الطاهر محمّد بن يوسف السرقسطيّ(ت٥٣٨هـ)، حقّقها وعلّق حواشيها : د. حسن الوراكلي، عمّان، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، ط٢- ٢٠٠٦م .

٢٠. ملامح التجديد في النثر الأندلسيّ خلال القرن الخامس الهجري، د. مصطفى محمّد حمد علي السيوفي، بيروت، عالم الكتب، ط١- ١٩٨٥م .

٢١. النثر الأندلسيّ في عصر الطوائف والمرابطين ، د. حازم عبد الله خضر، بغداد ، دار الرشيد للنشر، دار الحريّة للطباعة ،١٩٨١م .

٢٢. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني (١٠٤١هـ)، تحقيق :

محمّد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي، مطبعة السعادة، ١٩٤٩م .

٢٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق : د. إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر، (د.ت) .

الرسائل الجامعية :

١. المقامات اللزوميّة لأبي طاهر محمّد بن يوسف السرقسطيّ، دراسة أسلوبية، مي محسن حسين الحلفي، اطروحة دكتوراه، كلّيّة التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٦م .

المجلّات والدوريات :

١. بين الفكر والأدب، من وَحْي مهرجان المربد الشعريّ، مجلّة الثقافة، العدد الرّابع، ١٩٧١م .